الولايات المتحدة والعراق

■ حميدي العبدالله

بات واضحاً أنّ مجموعة من المسلّمات تتحكّم بالموقف الأميركي من العراق على الرغم من سيطرة «داعش» على أجزاء واسعة منه، وعلى الرغم من أنّ الولايات المتحدة تعتبر «داعش» تهديداً لمصالحها ولحلفائها في المنطقة.

- المسلمة الأولى، أنّ واشنطن تصرّفت وكأنّ تحركات «داعش» وتمدّدها في أنحاء مختلفة من العراق، وفي التوقيت الذي جاء فيه هذا التمدّد، يخدم المصالح الأميركية، على الأقلّ في مسألتين أساسيتين، المسألة الأولى، الضغط على المالكي وعلى إيران من أجل القبول باستمرار الوصاية الأميركية على العراق، حتى بعد رحيل قوات الاحتلال الأميركي عنه، وإرغام المالكي وإيران على عدم التصرّف على أساس نتائج الانتخابات النيابية الأخيرة التي جاءت في غير مصلحة القوى المرتبطة بالنفوذ الأميركي وحلفاء الولايات المتحدة في المنطقة. المسألة الثانية، حاجة العراق إلى الدعم العسكري الأميركي، سواء عبر الأسلحة أو عبر الخبراء، الأمر الذي يساعد على استعادة بعض النفوذ الذي خسرته الولايات المتحدة في العراق بعد خروج قواتها من هناك عام 2011. وسير الأحداث حتى وقت قريب يبدو معه وكأنّ الحسابات الأميركية حسابات صحيحة وتحقق للإدارة الأميركية ما تسعى إليه عبر تمدد داعش.

- المسلّمة الثانية، الإدارة الأميركية لن تقدّم أيّ دعم فعّال يمكن أن يصبّ في مصلحة الحكومة العراقية السابقة، برئاسة نوري المالكي، ولهذا فإنّ الإدارة تلكّأت في إرسال الأسلحة إلى الجيش العراقي، واشترطت تقديم الدعم بتشكيل حكومة عراقية جديدة ترضى عنها، وتعيد التوازنات إلى ما كانت عليه أثناء الاحتلال الأميركي للعراق.

ولعلّ هذه المسلّمة هي التي تفسّر حتى الآن عدم وجود أسلحة كافية تمكّن الجيش العراقي، ومئات آلاف المتطوّعين، من استعادة مناطق خضعت لسيطرة «داعش»، ولا سيما في شمال ووسط العراق، وحيث لا يزال الخطر يتهدّد العاصمة العراقية بغداد.

- المسلمة الثالثة، عدم التعرّض لـ«داعش» طالما أنّ الأخيرة لم تتجاوز الخطوط الحمر الأميركية، وتكمن هذه الخطوط الحمر أولاً، في عدم التمدّد نحو المنطقة الكردية، حيث تسيطر الأحزاب الكردية سيطرة مطلقة على المنطقة منذ الاحتلال الأميركي في عام 2003، وثانياً عدم تمدّد «داعش» باتجاه الأردن أو السعودية، لهذا عندما بدأت «داعش» بالاقتراب من أربيل أعطت الإدارة الأميركية الأوامر للقوات الأميركية بالتحرّك، وشنّ الطيران الأميركي سلسلة من الهجمات على مواقع لـ«داعش» في رسالة واضحة تؤكد أنّ التعرّض لهذه المناطق خط أحمر أميركي لا يمكن تجاوزه. فكلّ المجازر التي تعرّض لها المسيحيّون والتركمان والأيزيديّون في محافظة نينوى لم تحرك الولايات المتحدة ولم تدفعها إلى إعطاء الأوامر لطائراتها بقصف مواقع «داعش»، ولكن عندما بدأت «داعش» تقترب من مواقع سيطرة البيشمركة صدرت الأوامر وقام الطيران الأميركي بقصف مواقع «داعش».

في مقابر الكلام... الانتحار اللغوي يبدأ من مطار دمشق

كتب نارام سرجون

قلّما تنتابني رغبة في أن أكون أمّيا لا أقرأ ولاأكتب ولا أفك الحرف ولا أفرّق بين العصا والألف الممدودة... إنه إحساس يشبه الشعور بالرغبة بالانتحار والتخلّص من ألم الجسد أو الروح... وأسمّيها الرغبة بالانتحار اللغوي والهلاك الفكري، لأنها ميول انتحارية تصيب القلم والورق والحرف، عندما تصبح معرفة القراءة نقمة، وعندما يصبح الوطواط محاضراً في ضوء الشمس وألوان قوس قزح... لكن بعض السياسيّين أو الكتاب يثيرون فيّ رغبة جامحة في أنني ما كنت تعلّمت يوماً ولم أذهب الى المدرسة... وأنني ما أتقنت القراءة يوماً... وليتني كسرت أقلام الرصاص التي علّمتني في طفولتي النحت على الورق... ولم أعرف معلّماً ولا معلّمة... ولم أحمل حقيبة كتب ولا دفاتر... وأتمنّى أنني ما تعلّمت رسم الحرف وزرع اللغة وجني الأدب لأنّ قراءة ما يقول هؤلاء السياسيون من هرطقة تجعل الأمية نعمة من الله والانتحار المعرفي بطولة وخلاصاً وقيامة كقيامة المسيح... ويتمنّى المرء بعد قراءة ما يقولون أو سماع هذياناتهم وتصريحاتهم أنه حمل عصاة لرعي الأغنام بدلاً من الأقلام... مثل كلّ الأنبياء.

ولن أبالغ إنْ قلت إنني أحسّ بعد أن أقرأ للبعض وأستمع للبعض أنني أتمنى لو كانت القراءة والكتابة جزءاً مني يقدر أن ينفصل عني وينتحر في أعماق أعماقي وينتهي مني... وأنتهي منه... إلى الأبد... وأتمنى عندما أرمق ساسة الثقافة العربية من المثقفين البراغماتيّين أن تشرب لغتي نقيع السمّ وتنتحر... أو أن تتردّى من أعالي أبراج كبريائي التي بناها العلم لي، ومن ذرى المعرفة التي أوصلتني اليها القراءة... أو أن ترمي ذاكرة لغتي نفسها على نصل سيف مصنوع من لغات العالم.

الشيخ سعد الحريري هو أحد أولئك الذين يحرّضون في الرغبة بالانتحار اللغوي والندم على كلّ ما أنفقت في طريق المعرفة... عندما يقف خطيباً بالناس... يعظ الناس ويشرح لهم أمور دنياهم ودينهم... وعندما يحلّل للناس في فقه السياسة... وفي علم الثورة والحرية والوطنية... وأصدقكم القول إنني في كلّ مرة أستمع اليه أحسّ أنه لا يتسبّب في كراهيتي للمفردات التي يستعملها بل أكره نفسي، لأنني لا أملك طريقة لأنقذ بها المفردات من الانتحار والموت عندما تدرك أنها لم تخلق لفمه، وأنها مجبرة على مجامعة الكذب وفقد عذريتها... ولكن المفردات التي تخرج من فمه تكرهه أيضاً لأنه أحد دواعش اللغة الذين يسفكون دمها... ويقطعون رأسها ويبيعونها في سوق النخاسة والسبايا... وكل ما يقوله سيذهب الى مقابر الكلام.

سأدعوكم اليوم الى مقابر الكلام... فالكلام أيضاً يحيا ويموت وله عظام ولحم وجلد... وتتكسّر عظامه وسيقانه، ويسير على عكازات... وقد يُصاب بالعمى والصمم وبُثور الجلد والحكة... ويمرض ويُصاب بالاسهال والأورام والأمراض العقلية... وهناك أمثلة لا تحصى على كلام أعمى بلا عيون وكلام مختلّ عقلياً ومجنون... وكذلك فإنّ الكلام عندما يموت تُحمل جثامينه إلى مقابر الكلام، أو تُلقى في الوديان والمهاوي كما يفعل القرويّون بحيواناتهم النافقة... ومقابر الكلام مليئة بالقبور التي دفن فيها العرب كلامهم كما يفعل القرويّون تماماً... فدفنوا كلامهم عن تحرير فلسطين... وكلامهم عن وحدة الأمة العربية... وعن خير أمة أخرجت للناس... وعن العدو الصهيوني... والتضامن العربي... ودفنوا فيها الى جانب حق العودة لفلسطين العراق الموحّد وليبيا والسودان واليمن وسورية ولبنان... ودفنوا فيها «وامعتصماه»... مع المعتصم والمرأة التي استغاثت به في قبر واحد جماعي كما تفعل جبهة النصرة في سورية بضحاياها... وكما تفعل داعش في العراق.

ولكن في مقابر الكلام هذه الأيام قبر حديث للعبارة التي رحلت غماً وغماً، وهي من عائلة «الأيام المعدودة» وخصّ بها الرئيس الأسد... وبجانبها قبر فيه عبارة «الحرب الأهلية السورية»... والى جوارها قبر لعبارة «الثورة السورية السلمية»... وقبر «تقسيم سورية»... وإلى الأعلى منه في تلك المقبرة قبر طويل لعبارة طويلة اسمها «الحلم العثماني السلجوقي لخلافة المسلمين»... وهناك قبر مردوم لراحل اسمه «مجلس الحكم الوطني السوري» الى جانب قبر عبارة «الشعب يريد إسقاط النظام»... وهناك قبور لذرية «ساعة الصفر» وأبناء عمومتها وأخوالها... وهناك تحت ظلال الشجرة الملعونة للإخوان المسلمين بثمارها من جبهة النصرة وداعش قبر منبوش لكلمة «انشقاق» وقبر لا يزال رطباً لعبارة «الجيش الحر»... وأستطيع في جولتي أن أرى قبوراً تفتح الآن لعبارات كثيرة ترتفع حرارتها بسبب الحمى والمرض العضال... مثل جبهة النصرة... وداعش.

حفارو قبور الكلام لم يعودوا قادرين على مجاراة موت الكلام كما هو موت العراقيّين في جبل سنجار وبغداد والليبيّين في شوارع ليبيا... كأنما ضربت جائحة أو طاعون الكلام مدن اللغة فتناثرت جثث الكلام على أرصفة الورق... وصارت توابيت الكلام تتوالى... وتصل المواكب تلو المواكب... والجنازات تلحق بالجنازات... وكثير من الكلام الذي مات يأتي محمولاً على أكتاف من قالوه وحملوه وخرج من أرحامهم وأفواههم.

آخر الداخلين الى المدفن الشيخ سعد الحريري وعلى كتفه نعش ثقيل... ليس في النعش رفاة رفيق الحريري طبعاً الذي هجر قبره ليستريح من كثرة ما نبشته لجان التحقيق ونقلت جثته ليدور على محاكم العالم ومتاحف الجريمة الدولية كما نقلت مومياء توت عنخ آمون للعرض... وقد وصل العالم لمعرفة سبب موت الفرعون الصغير «توت عنخ آمون» بعد سبعة آلاف سنة على حادث اغتياله، ولكنه لن يعرف بعد سبعة آلاف سنة قاتل «رفيء» الحريري... ولن نعرف إنْ كان التفجير الذي نسف الحريري كان فوق الأرض أم تحتها إلا يوم الحساب.

الشيخ سعد الحريري يحمل على كتفه نعش وعده بأنه «لن يعود الى بيروت إلا من مطار دمشق»... وخلع جاكيتته كما يخلع الأعراب عقالاتهم عند الغضب وطلب الثأر وعندما يعدون بالانتقام... فلا يعود العقال ما لم ينفذ الوعد والدم... ولكن فوق النعش الذي دخل على كتف الحريري يستلقي جاكيت سعد الحريري التي خلعها تحدّياً كما يوضع طربوش أو عمامة المتوفى.

توفي وعد الحريري وتوفيت عبارته التي ظلّت في السرير موصولة بالحقن والمصول ثلاث سنوات ونيّف... ونقل لها دم آلاف السوريين واللبنانيين لتحيا من أجل أن يعود الحريري الصغير من مطار دمشق... ولكن قدر الله لا رادّ له وإرادة الشعب السوري ودمشق من إرادة الله... وقد مرّ عزرائيل على بيت الحريري... وقبض روح العبارة الأعز على آل الحريري وترك أهلها مفجوعين عليها ومكلومين لموتها... وأخشى ان يطلبوا تحقيقاً دولياً ومحكمة دولية في سبب اغتيال الرحلة الثمينة «لا عودة الى بيروت إلا من مطار دمشق»... فهذا عهدنا بهم... بل كلي يقين انّ التحقيق في موت «رفيء الحريري» لم يعد مهمّاً كما هو موت الرحلة الأثيرة على قلب المهاجر... الذي تاه ثلاث سنوات قبل أن يجد أنه يمكن ان يدخل الى بيروت من كوكب المرّيخ لكنه لا يقدر أن يمرّ بمطار دمشق.

هذه العبارة القتيلة هي ضحية أخرى من ضحايا الحريرية السياسية... فقبل ذلك لم يتعلّم هذا الفتى من الدرس الأول أنّ الكلام ليس حجر نرد ولا طاولة قمار ولا عجلة روليت... فهو اتهم السوريّين يوما بقتل أبيه وأقسم على ذلك... ثم قتل الكلام الذي قاله وحمل جثته ودفنه في قصر الشعب في سورية أمام الرئيس الأسد وهال عليه التراب... وهو اتهم المقاومة اللبنانية أنها تورّطت في دم أبيه ثم قتل كلامه ودفنه ورأيناه يذرو التراب على جسد الكلام الذي قاله... وقال إنه جاء لإنقاذ السنة في لبنان من الظلم، ولكنه قتل تعهّده وكلامه وأخذ السنة في لبنان الى محرقة طائفية والى مغامرة في سورية ليموتوا في عرسال والقلمون ويبرود والقصير.

هل يتعلّم سعد الحريري درساً أنّ دفن الكلام اثر الكلام وزيارة مقابر اللغة كلّ عام لدفن العبارات لاتليق بالساسة؟ وهل يفهم هذا المراهق السياسي أنّ من يقتل الكلام يقتل الناس أيضاً؟ وهل يتعلّم سعد الحريري أنّ كلام الساسة الكبار مثل الذهب العتيق لا يصدأ ولا يحترق؟ وهل يتعلّم سعد الحريري أنّ الكلام ليس قطيعاً من الأغنام يسوقه ويهش عليه بعصاه دون اعتبار لمشاعر القطيع؟ وهل سيدرك يوماً أنّ ضروع الكلام لا تحلب ولا تصحّ فيها فتوى إرضاع الكبير؟ وأنه يمكنه بماله أن يشتري ما يشاء من الطوائف والمذاهب والسياسيّين والمقاتلين الاسلاميّين والأحزاب والقصور ومحطات الإعلام والجرائد والفضائيات والمذيعين والرؤساء الفرنسيّين والرؤساء غير الفرنسيين... لكنه لا يقدر على أن يشتري الحياة لكلمة واحدة ليس في وريدها دم الحقيقة... وليس في شرايينها دم الشرق... وأنه مهما دفع من مال فإنه لا يقدر أن ينقذ عبارة واحدة من موت محتّم طالما أنها مصابة بالورم والسرطان منذ لحظة ميلادها.

الساسة الكبار لا يقتلون الكلام لأنهم لا يلقون بالكلام على عواهنه، ولا يرمون المفردات الى التهلكة والمحرقة كما يرمى شباب أهل السنة الى المحرقة الطائفية بلا حساب.

هذه المرة عاد سعد الحريري الى بيروت كما في كلّ مرة خائب الوعد والعهد وقد سئمه الكلام ونفرت منه اللغة واعتادت خيباته المذكرات... ولكني سأقول له كمواطن سوري كلاماً لا يموت ولا يدفن:

إنني لن أذهب الى بيروت من مطار دمشق ولن أدخل دمشق من بوابة بيروت لأردّ على تخرّصاتك بالمثل... لكنني سأذهب الى بيروت مشياً على الأقدام من دون أن يرافقني سايكس ولا بيكو لأول مرة... وأنا لن أخلع جاكيتي ولا معطفي ولا عباءتي ولا عقالي... بل سأخلع خطوط الجغرافيا بيني وبين بيروت... وسأمحو بالممحاة نقطة المصنع.

السوريون لا يدفنون الكلام... ولا يقتلون العبارات ولا العهود... ولم يتعوّدوا زيارة مقابر الكلام... فليس لهم في مقابر الكلام قبر واحد فيما كلّ العرب يدفنون كلام العرب وكلام الرسول وكلام الله وكلام الوطن...

هل يقدر سوري أن يدفن عبارة «سورية ياحبيبتي» يا سعد؟ وهل يقدر سوري أن يدفن عبارة «سورية الله حاميها»؟ يا سعد.

ان الانتحار اللغوي والسياسي يبدأ من حلم رحلة الى بيروت... عبر مطار دمشق.

السيناريو العراقي لن يمرّ في اليمن

■ علي القحوم

عندما نأتي لنقرأ المشهد اليمني لا بدّ من قراءة المحيط المجاور له، ولا يجوز أن نفصل ما يجري اليوم في المنطقة بما هو جاري اليوم في اليمن لأن له علاقة كبيرة بما هو حاصل في المنطقة. ولذلك القوى الاستكبارية تسعى دائماً إلى رسم معادلات جديدة من خلال ورقة التكفير وما يسمى بـ«القاعدة» وأخواتها كما هو حاصل في العراق وسورية ولبنان ومصر واليمن وليبيا وتونس وغيرها... وهذا من اجل تقسيم المقسم وإعادة رسم الخريطة من جديد لتصبح بعد ذلك تلك المعادلات الحاكمة للتوازنات الجديدة في العالم والمنطقة. وتكون أميركا ودول الاستكبار العالمي هي المهيمنة على العالم ويكون أي تغيير أو استقرار إقليمي تحت المظلة. ومن ثم تبدو قائمة على ثابتة واحدة هي الخروج التدريجي من المواجهات المباشرة إلى الزجّ بعملائها وعناصرها الاستخباراتية التي جندتها منذ زمن بعيد... لتكون وقوداً لحروب أميركا في المنطقة وتحصد أميركا الثمار بأقل الأضرار لتفادي الدخول في حرب مباشرة يكون مصيرها الخسران والهزيمة كما حصل لها في العراق سابقاً. وهي من ذلك مستفيدة من رسم حدود أرصدة موائد التفاوض أو ما أنجزته عناصرها الاستخباراتية المسماة «القاعدة» في محاولة لإثبات قاعدة تفادي كل أخطار المواجهات الشاملة. ومن ثم يصير الزمن اللازم لنهاية المسارات مقبولاً مهما طال الانتظار، فهو ليس عاملاً ضاغطاً لسرعة الإنجاز تحت ضغط الحاجة أو القلق وليس بين العوامل التي يمكن أن تشكل عاملاً حاسماً في رسم النتائج. ويصير المنطق الحاكم دعوا الأمور تبرد تدريجاً والمعادلات تقول كلمتها تحت سقف الخطر من دون تخطيه ولا مشكلة أن ننتظر مدة زمنية تقل أم تكثر حتى تختمر النتائج فكلّ شيء يستطيع الانتظار.

في المقابل كل المعطيات تؤكد أن العامل الخارجي هو من يعبث بأمن واستقرار البلد بالتنسيق مع بعض الأيادي العميلة في السلطة ولذلك هي محكومة بثنائية قاسية طرفها الأول الهيمنة التي يفرضها الخارج على الداخل ليصبح بين ضفتين – ضفة الصراع الداخلي – الداخلي الذي يختلقه المحتل ويزرعه بين فئات الشعب والضفة الأخرى الصراع الموجود اليوم في المنطقة بين أميركا وإيران. ففي ظل هذه المعادلات تصير الحركة السياسية والإعلامية النشطة غير مؤهلة لإحداث الاختراق المنشود، ومن ثم يتبلور المشهد اليمني ليرسم قاعدة حتمية انه لن يستقر ما دام الأميركيون ودول الاستكبار العالمي لهم اليد الطولى فيه، ولذلك لا بد من قطع هذه اليد ليصبح لليمن أمنه ومستقره ولكي لا تنحدر نحو الانهيار الدراماتيكي.

فلا غرابة لما حصل للجنود في حضرموت، فهناك من يسعى إلى تطبيق السيناريو العراقي في اليمن، سيما النظام السعودي وأميركا يعملان لخلط الأوراق وإثارة الفتنة ونشر الفوضى في محيط المملكة وشبه الجزيرة العربية تحت عنوان مشروع أميركا الجديد بين قوسين المشروع التكفيري التدميري الذي ضرب اليمن والمنطقة، ولهذا لا يكفي أن نستنكر فقط لما جرى للجنود في حضرموت بل يتطلّب مواقف شعبية وحراكاً كبيراً ضدّ ممولي مشروع التكفير الأميركي وواجهته الرسمية والسياسية والإعلامية وهم معروفون ولا يستطيع احد نكران دورهم وإجرامهم بين هلالين، هم «إخوان اليمن» الداعشيون الذين يعملون ليلاً ونهاراً جنباً إلى جنب مع الاستخبارات الأميركية لعرقنة اليمن. ولهذا يتطلب الموقف من أبناء شعبنا اليمني لأنه لا رهان على حكومة الظلم والطغيان فهي ضالعة في هذه المؤامرة. فالأمل كل الأمل على شعبنا وحراكه السلمي من اجل إسقاط هذه الحكومة الظالمة والعميلة. والتحرك في تحرير المؤسسات العسكرية والحكومية من سيطرة القوى النافذة وقيادات الإخوان الداعشية وتقديمهم للمحاكمة لأنهم من يسهّلون ويؤمّنون لهذه العناصر الاستخباراتية التنقل بين المحافظات اليمنية ويمنحونهم ترخيصات حمل السلاح ويفتحون لهم مخازن الجيش ليستهدفوا أبناء الشعب اليمني في الشمال والجنوب.

فمسلسل استهداف المؤسسة العسكرية له المدلول الواضح في ضرب هيبة الجيش والقوى العسكرية والأمنية وتقديمها عاجزة لا تستطيع أن تدفع الخطر عن نفسها، فما بالك بدفعها للخطر القادم على شعبنا وبلدنا العزيز وهذا من اجل أن تتمكن أميركا أكثر وان تهيمن أكثر، حيث عملت أميركا في اليوم نفسه الذي قامت عناصرها بجريمة ذبح الجنود بغارة جوية في مأرب. وهذا خلط للأوراق وتخويف للشعب بأن ما جرى للعراقيين سيجري عليهم، فهل سنتحرك قبل فوات الأوان سيما ان هناك من يدعوا إلى تسليم مدن ومحافظات جنوبية للعناصر التكفيرية والأجنبية كما حصل في العراق، حيث ان «إخوان اليمن» بعد اندحارهم مع دواعشهم وعناصرهم التكفيرية من عمران هدّدوا الرئيس هادي بتسليم محافظات جنوبية للعناصر الخبيثة المسماة «القاعدة» وتصبح كالموصل ونينوى وغيرها من المدن العراقية...

في المقابل هناك اختلاف في الوعي الشعبي لأن العراقيين كانوا ضحية للتضليل وثقافة القعود وشتان ما بين الشعب اليمني والعراقي، فالشعب اليمني وبفضل الله بات يعي كل الأخطار ويتحرك في إفشالها وقطع دابرها ويتحصن بثقافة القرآن التي جعلت منه حصناً منيعاً لا يستطيع الأعداء خرقه او دخوله. فستفشل أميركا وتحرق أوراقها وتقطع الأيادي العميلة ولن يسكت الشعب اليمني على جرائمها، وبما أن الشعب اليمني مسلح ويحمل الثقافة الصحيحة والوعي الكافي لأن يتحرك فسترى أميركا وعملاؤها ما لم تره في العراق وسورية لأن الشعب اليمني لن يقبل بها ولا بعملائها وبلادنا ليست أرضاً خصبة لطفيلياتها وجراثيمها الخبيثة...

alialsied@gmail.com

قراءة غير مكتملة
في الحرب العدوانية على قطاع غزة

■ راسم عبيدات – القدس المحتلة

حتى اللحظة الراهنة لا نستطيع الوصول الى خلاصات واستنتاجات نهائية بخصوص ما ستؤول إليه مسارات الحرب العدوانية الهمجية المتواصلة التي يشنّها الاحتلال على أهلنا وشعبنا في قطاع غزة، ولكن هذه الحرب مختلفة عن كلّ الحروب والاعتداءات السابقة التي شنّها الاحتلال على شعبنا ومقاومتنا في قطاع غزة (2008 – 2009) و(2012)، فالعدو لا يتحكم في إيقاعات هذه الحرب ولا التقرير بشأن بدئها وإنهائها ولا فرض شروطها، بعكس ما كانت عليه الأمور في الاعتداءات والحروب السابقة، الاحتلال يشنّ الحرب ويبادر لها، ويفرض شروط وقفها.

صحيح أنّ الاحتلال شنّ عدوانه على قطاع غزة وفي جعبته مجموعة من الأهداف السياسية التي يبغي تحقيقها، والتي تحمل في مضمونها وجوهرها مشروعاً سياسياً يريد فرضه على الشعب الفلسطيني، فهو شنّ العدوان لكسر إرادة المقاومة وتصفية كلّ أذرعها وأجنحتها العسكرية، وكذلك تدمير ترسانتها من الصواريخ وتقنيات تصنيعها وكل البنى التحتية الخادمة لها من أنفاق وورش ومصانع وغيرها، وبما يمهّد لفرض حلّ سياسي على المقاومة والشعب الفلسطيني، وفق شروطه وإملاءاته، وبما يجعله متحكماً في مداخل ومخارج غزة، ومراقبة الداخل والخارج منها (أفراد وبضائع)، وبما يبقي اليد الطولى له للتقرير بشأن أهل غزة، بحيث يصبح فتح المعابر ورفع الحصار وإدخال البضائع وتصديرها منوطاً بسلوك السلطة القائمة فيها، حصلت على حسن سلوك «إسرائيلي» واميركي والرباعية الدولية، يتمّ إدخال البضائع وفتح المعابر للتصدير والاستيراد، وسلوك لا يتوافق مع المعايير الاميركية و«الاسرائيلية» تغلق المعابر وتفرض العقوبات، كما هو جار مع السلطة في الضفة الغربية، حجز أموال الضرائب والحدّ من حركة السلطة ورجالاتها (مصادرة بطاقات (VIP) وعدم منح العمال تصاريح للعمل في القدس والداخل الفلسطيني (أراضي 48).

الحرب متواصلة بالمقاومة العسكرية والسياسية، وهي ليست حرباً فلسطينية – «اسرائيلية» فقط، بل هناك الكثير من المحاور العربية والاقليمية والدولية المتصارعة على أرض القطاع، والتي يحدّد لها حسم المعركة مكانتها ودورها في الخرائط والمعادلات والتحالفات العربية والاقليمية والدولية، وهذه المحاور تشتبك عسكرياً وسياسياً لكي تفرض شروطها، ولكن الحسم في ذلك يكون في الميدان وعلى أرض المعركة اولاً، وكذلك ما يتمّ إنجازه في المعركة السياسية، ولذلك يجب على المقاومة ان توظف ما يتمّ إنجازه عسكرياً وفق استراتيجية سياسية تخدم مشروعها ومطالبها في المفاوضات السياسية.

الحرب المتواصلة والمستمرة، كشفت عن الكثير من الأمور، فعلى صعيد المقاومة وأسلحتها وقدراتها العسكرية والتقنية واللوجستية والاستخباراتية وبتمايز أدوارها وقدراتها، تبيّن بالملموس أنّ هذا الخيار ليس عبثياً وبلا جدوى، بل ثبت انّ له حيّزاً واسعاً في وجدان ومكنون وضمير وذاكرة ليس الشعب الفلسطيني فقط، بل والجماهير العربية، هذه الجماهير رغم كلّ الخسائر الكبيرة في البشر (الشهداء والجرحى) وتدمير كل مقومات الوجود الفلسطيني والحياة... منازل، مدارس، مستشفيات، أماكن عبادة ومؤسسات دولية وغيرها... إلا انّ ذلك لم يمنع أهل غزة من القول كما قال الشهيد أبو علي اياد «نموت واقفين ولن نركع»، وكذلك باتت الجماهير أكثر قناعة بأنّ منهج وخيار وثقافة المقاومة، هي التي يجب ان تسود، وهي المخرج الوحيد لاستعادة الهيبة والكرامة تمهيداً للحرية والإستقلال، وبأنّ هذه المقاومة طوّرت الكثير من قدراتها العسكرية وأساليبها وتكتيكاتها، وبأنها قادرة على أن تدمي الاحتلال وتلحق به الهزيمة، على رغم الفارق الكبير في الإمكانات العسكرية والتكنولوجية والاستخباراتية، فالمقاومة خلقت توازن الردع وليس توازن القوة مع العدو، وهذا عكس نفسه على الجبهة المقابلة، حيث انّ العدو، وبما يحكم قيادته من سياسة الغطرسة والعنجهية والاستعلاء، والتقدير العالي للذات كقوة عسكرية مدمّرة، جعلته يعتقد أنّ المقاومة سترفع الرايات البيضاء وستاتيه راكعة تستجدي التهدئة، ولكن قصر النظر هذا، وفشله الاستخباراتي، أدخله في سلسلة من التخبّطات والإرباكات والاتهامات المتبادلة على المستويات السياسية والعسكرية والأمنية، وبات هذا واضحا، في التعديلات والتصريحات المتكرّرة من الأهداف العدوانية للحرب على قطاع غزة، وكذلك إقالة نتنياهو لنائب وزير الجيش داني دنون، وعندما تتوقف الحرب والعدوان، الكثير من الرؤوس العسكرية والسياسية والأمنية ستخسر مواقعها ومكانتها ورؤوسها على مذبح هذه الحرب الفاشلة والخاسرة.

صواريخ المقاومة المتطوّرة وعملياتها النوعية، مسّت بهيبة جيش الإحتلال ومعنوياته، والذي بدا في حالة خوف ورعب من المقاومة، الخوف من الأسر والتقدم البري، الرعب حدّ التبوّل والتبرّز على الذات من الأنفاق، وعدم الخروج من العربات المدرّعة والمصفحة خوفاً من الأسر، وهذا دفع بالعديد من جنود الاحتلال إلى إطلاق النار على أرجلهم لكي لا يذهبوا الى جبهة الحرب، وكذلك فصيل كامل من لواء جولاني تمرّد على أوامر الالتحاق بالجبهة والمشاركة في الحرب على غزة، وحال الجبهة الداخلية، لم تكن بأفضل من حال جيش الاحتلال وجنوده، حيث مستوطنو مستعمرات غلاف غزة، حتى لو توقفت الحرب العدوانية، فهم يرفضون العودة إلى مغتصباتهم، وكذلك بدت الجبهة الداخلية للاحتلال محبطة ومربكة وخائفة، وشعر مستوطنوه بأنّ هذه حرب حقيقية وليست نزهة، وكذلك تعطلت وشلت الحياة العامة داخل دولة الكيان، بكلّ ما يعنيه ذلك من خسارة كبيرة لحقت وتلحق بالاقتصاد الصهيوني في العديد من القطاعات، وبالذات السياحة والفندقة والمطاعم، ناهيك عن ان المقاومة، للمرة الأولى في تاريخ الصراع العربي – الصهيوني، طاولت بصواريخها كل المدن الفلسطينية المحتلة عام (1948) بما في ذلك القدس، وكذلك فرضت حظراً على غلافه الجوي، ما شلّ حركة الطيران من وإلى مطار اللد.

الحرب على غزة، كشفت عورات النظام الرسمي العربي، حيث وجدنا انّ العديد من دول النظام الرسمي العربي، مشيخات النفط على وجه التحديد، قد اصطفت الى جانب العدو في العدوان، وتبنت مواقفه في نزع سلاح المقاومة، وجزء منها كان لديه الاستعداد لتغطية تكاليف العدوان على غزة، والبعض الآخر قصر نظر سياساته، ومواقفه المتشنجة من حماس وخلافه معها، على خلفية علاقتها التنظيمية والأيديولوجية مع حركة الإخوان المسلمين، وتدخلها لمصلحتهم في الشأن الداخلي المصري، جعل الديبلوماسية المصرية كمن تطلق النار على رجليها، ولا ترى الأمور إلا من زاوية وضعها الداخلي، واختزال المقاومة والشعب الفلسطيني في حماس، وهذا جعلها محط اتهام بالتواطؤ والوقوف الى جانب العدو في حربه على غزة، وهذه ليست مجرد تهيؤات او إسقاطات لرؤيا او موقف سياسي، بل قادة الكيان الصهيوني، قالوا إن ميزة هذه الحرب، كشفت عن وجود علاقات استراتيجية بين العديد من الدول العربية ودولة العدو واتفاقها في القضاء على المقاومة الفلسطينية، وهذا ما ظهر في تصريحات العديد من قادة «اسرائيل» والدول الأوروبية الغربية، فداني دنون نائب وزير الجيش الصهيوني، قال: «علينا ان نخرج منتصرين من هذه الحرب، لكي لا نخذل الدول العربية التي راهنت علينا، وفرنسا قالت إن ضغوطاً عربية تمارس عليها، لمنع تغير موقفها من تأييد العدوان على غزة.

وفي إطار الدعم والمساندة لقوى المقاومة وشعبنا الفلسطيني وأهلنا في قطاع غزة، وجدنا هناك ثبات في الدعم والمساندة بالفعل لا بالقول على كل المستويات من قبل معسكر المقاومة (ايران وسورية وحزب الله)، أسلحة ومساعدات وتمويل وحضانة سياسية واعلامية وديبلوماسية، وكذلك كان هناك حراك شعبي ورسمي جارف ومؤيد لشعبنا ومقاومتنا في دول اميركا اللاتينية، والتي دانت العدوان ووصفت العدو بدولة الإرهاب، وسحبت سفرائها من دولته، وألغت اتفاقات معه، وكذلك زيارات رسمية، وهذا الحراك الشعبي على المستوى العالمي كان ملحوظاً، في حين لم يكن بالمستوى المطلوب على المستوى الشعبي العربي، وبما عكس ضعف وهزالة الأحزاب العربية المعارضة إسلامية وقومية ويسارية وتقدمية، فواضح أن أزماتها الداخلية وانعزالها عن الجماهير، جعلتها غير قادرة على التجييش والتجنيد للحركة الجماهيرية بشكل كبير.

ولكن رغم كل هذا الدعم الشعبي والجماهيري على المستوى الأوروبي الغربي، والذي دفع بوزيرة في الخارجية البريطانية الى الإستقالة إحتجاجاً على سياسة بلدها تجاه العدوان على غزة، وجدنا أميركا وأوروبا الغربية الإستعمارية، وقفت الى جانب دولة الإحتلال، وتبنت وجهة نظرها، وقالت إن من حقها الدفاع عن نفسها، في مناصرة للجلاد على الضحية، وازدواجية و«تعهير» لكل مبادئ وقوانين ومواثيق القانون الدولي واتفاقيته، وما التغني بقيم ومفاهيم الحرية والعدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان، إلا لذر الرماد في العيون، وتصبح نافذة التطبيق والأخذ بها فقط عندما تخدم مصالحها واهدافها، والأدهى من ذلك أن يقدم رأس الهيئة الدولية، الأمم المتحدة وأمينها العام على تأييد العدوان على قطاع غزة، رغم ان اسرائيل قصفت مدارس ومقرات دولية تأوي سكاناً فلسطينيين هربوا إليها نتيجة القصف الصهيوني، ولأول مرة تكون المناصرة للجلاد على الضحية بهذا السفور والوقاحة، رغم ما إرتكبته اسرائيل من جرائم ومجازر وابادة جماعية وتطهير عرقي.

الحرب أظهرت توحد الفصائل الفلسطينية في الميدان، وعكست تمايزاً واضحاً لحركة الجهاد الإسلامي، من حيث الخطاب السياسي الوطني الوحدوي الجامع لقادتها أمينها العام (أبو عبد الله) رمضان شلح ونائبه زياد النخالة، وكذلك التغطية الإعلامية المهنية والوطنية العامة الموحدة، وأيضاً تميز دورها في الميدان والجانب العسكري، من حيث حجم ونوعية عملياتها العسكرية، الى جانب حركة حماس التي تميّزت كذلك في عمليات الإنزال خلف خطوط العدو، والعمل العسكري، وحركة الجهاد وسرايا القدس، دفعت خيرة قادتها شهداء لمعركة البنيان المرصوص، وهم مسؤول الإعلام الحربي صلاح أو حسنين «أبو احمد» والقائدان شعبان الدحدوح ودانيال منصور.

وكذلك هذه الحرب هزت الشجرة الفلسطينية بقوة، وأسقطت عنها الأوراق الصفراء واللغة الصفراء والخطاب الأصفر، وجعل السلطة الفلسطينية، والتي بدت تلهث للحاق بالحركة الجماهيرية والمزاج الوطني، الذي بدا غاضباً وساخطاً على مواقفها وسياساتها، وأصبح يضغط عليها في شكل فاعل، لكي تأخذ مواقف ترتقي الى حجم التحدي والحرب التي تشن على شعبنا الفلسطيني، وعلى رغم ترددها وإرباكها والتي شعرت بأن المقاومة تشق وتحفر مساراً جدياً في النضال والمقاومة، أجبرها على ان تعدل من مواقفها، وتجعل سقف وحدود موقفها ومطالبها، مطالب المقاومة، وبما مهد لوحدة سياسية فلسطينية، تجلت على أثر ذلك في الوفد الفلسطيني الموحد للمفاوضات مع العدو بطريقة غير مباشرة في القاهرة، تلك المفاوضات التي تحاول «إسرائيل» المماطلة فيها والتسويف وعدم التسليم بمطالب المقاومة، والتي يقف في مقدمها رفع الحصار وفتح المعابر وتوسيع منطقة الصيد البحري لمسافة (12) ميل بحري، وإلغاء المنطقة العازلة، وإعادة بناء المطار، وانشاء ميناء بحري، وإطلاق سراح الأسرى الذين جرى اعتقالهم في الحملة الأخيرة، ومن ضمنهم الأسرى المحررون المختطفون، أسرى صفقة الوفاء للأحرار «شاليط»، الذين أعيد اعتقالهم، وسراح أسرى الدفعة الرابعة، الذين رفضت «اسرائيل» إطلاق سراحهم، وفتح ممرّ بري آمن يربط الضفة بالقطاع.

وعلى خلفية رفض «إسرائيل» الجوهري من هذه المطالب، المطار والميناء والممر الآمن وإطلاق سراح الأسرى المحررين المختطفين وإصرارها على نزع سلاح المقاومة، رفضت فصائل المقاومة، تمديد الهدنة التي رعتها مصر لمدة ثلاثة أيام، حيث تساقطت الصواريخ على المغتصبات الصهيونية، مجرّد إنتهاء الهدنة، ومن ثم عادت الأمور الى التهدئة من جديد حيث توافقت الفصائل الفلسطينية على تهدئة جديدة لمدة ثلاثة أيام، متمسكة بتنفيذ مطالبها، وما رشح من اخبار بأنه في إطار المفاوضات غير المباشرة التي ترعاها مصر بين الفلسطينيين و«الإسرائيليين» للتوصل إلى هدنة دائمة بين الطرفين في قطاع غزة توصلت إلى اتفاق حول معظم النقاط التي كانت تحتاج إلى حل.

وقالت الحكومة المصرية في بيان «أمكن التوصل في هذا الإطار إلى اتفاق حول الغالبية العظمى من الموضوعات ذات الاهتمام للشعب الفلسطيني وظلت نقاط محدودة للغاية من دون حسم، الأمر الذي كان يفرض قبول تجديد وقف إطلاق النار كي تتسنى مواصلة المفاوضات للتوصل إلى توافق حولها».

واضح أن السيناريو المرجح، هو موافقة «اسرائيل» على غالبية المطالب الفلسطينية، «فإسرائيل» في هذه الحرب هي من استجدت التهدئة اكثر من مرة، على لسان وزير الخارجية الأميركي جون كيري، والمقاومة لم تستجب، وهذا يجعلنا متيقنين بأن توحد المقاومة وصلابتها وقدرتها على توجيه ضربات مؤلمة للعدو، وتهديد جبهته الداخلية وشل حركة اقتصاده وطيرانه، وكذلك الخسائر الكبيرة في قواته العسكرية، ما يجعلنا نرجح هذا الخيار، مع احتمال بقاء الباب مفتوحاً على كلّ الخيارات، بما فيها التصعيد الشامل، والذي قد يقود الى مواجهة أبعد من غزة.